آيات الشفاعة من خلال تفاسير أهل السنة والمعتزلة

(دراسة مقارنة)

فهد بن زويد مزيد العطري

استاذ مشارك، قسم: القرآن الكريم والدراسات الاسلامية،

كلية الشريعة والقانون، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

آيات الشفاعة من خلال تفاسير أهل السنة والمعتزلة

(دراسة مقارنة)

فهد بن زويد مزيد العطري

استاذ مشارك، قسم: القرآن الكريم والدراسات الاسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

يتناول البحث موضوع الشفاعة، من خلال الآيات الواردة في القرآن الكريم، ودراستها دراسة مقارنة، وقد بدأت البحث بمقدمة بينت خطة البحث، وسبب اختيار موضوعه، ثم مهدت بتعريف الشفاعة عند أهل اللغة، وفي الاصطلاح، ثم قدمت وجهة نظر النافين للشفاعة، من خلال بعض الظواهر القرآنية، مع بيان الفهم الصحيح لتلك الظواهر، وأردفت ذلك بالآيات الواضحة في اثبات الشفاعة، وتوثيق هذه الفهوم من أقوال أهل العلم، وقد أوضحت هذه الدراسة قوة استدلال أهل السنة، ونصاعة توجيههم الظواهر المنافية للنصوص المصرحة بوقوع الشفاعة.

الكلمات المفتاحية : الشفاعة – السنة – المعتزلة

Abstract

This research addresses the topic of Shafa'ah through the verses mentioned in the Holy Quran, examining them by means of a comparative study. The research begins with an introduction outlining the research plan and the reasons for choosing this topic. It then presents a preliminary discussion defining Shafa'ah according to linguists and in technical (Islamic) terminology. Subsequently, the study presents the viewpoint of those who deny Shafa'ah, based on certain Quranic phenomena, while clarifying the correct understanding of these phenomena. This is followed by clear Quran verses that affirm the occurrence of Shafa'ah, along with documentation of these understandings through the statements of scholars. This study demonstrates the strength of the evidences of Ahl al-Sunnah and the clarity of their interpretation of phenomena that appear to contradict the explicit texts affirming the occurrence of Shafa'ah.

Keywords: Intercession – Sunnah – Mu'tazilah

مقدمة:

القرآن الكريم حبل الله المتين، والهدى المبين، أنزله الله ليبين الحق، ويوضحه، وهو حق كله، لا يوجد بين آياته اختلاف، إلا أن يكون متوهما في أعين من لا يبصر، ولا يعرف من الحق شيئا، ومن الموضوعات التي حصل نزاع فيها: الشفاعة، لوجود آيات تنفي بعض الصور من الشفاعة، وآيات تثبت الشفاعة على وجهها الصحيح، فأردت أن أكتب بحثا في هذا الموضوع، ومما دعاني للكتابة في هذا الموضوع الأسباب الآتية:

1. تعلق هذا الموضوع بالعقيدة، لاتصالها بصفتي الله سبحانه من العدل، والرحمة.
2. وجود انحراف في الفهم الصحيح للشفاعة، فهذا البحث يجنب الفهوم غير الصحيحة، ويصفي منها المعاني الصحيحة المتصلة بجلال الله المبينة عن كرمه وعطائه سبحانه.
3. الرد على نفاة الشفاعة في العصر الحديث ودحض أدلتهم.
4. انكار الشفاعة، يؤدي إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الصريحة في اثبات الشفاعة، فأردت أن أبين أن القرآن الكريم يتوافق مع تللك الأحاديث الشريفة.

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

- أما المقدمة: فلبيان خطة البحث، وسبب اختيار موضوع البحث.
- وأما التمهيد فللتعريف بالشفاعة لغة، وعند العلماء الدارسين لها بين القديم والحديث.
- وأما المبحث الأول: نفي الشفاعة من خلال تفاسير المعتزلة.
- وأما المبحث الثاني: اثبات الشفاعة من خلال تفاسير أهل السنة والجماعة.
- وأما الخاتمة: فلذكر أهم النتائج، ولذكر المصادر، والفهرس العام.

وبعد:

فإن أصبت فمن الله تعالى وحده، وله الفضل، والحمد في كل الأحوال، وإن أخطأت، فمن نفسي، والشيطان، وأسأل الله التوبة النصوح، والعمل بكتابه، والسير على سنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– آمين.

أهداف البحث

1- بيان أوجه استدلال النفاة للشفاعة، والقاعدة التي ينطلقون منها.

2- شرح لوجوه استدلال المثبتين للشفاعة،

3- بيان حقيقة الشفاعة: أنها نوع من فضل الله تعالى، وطريق لرحمته، وجعل سبحانه الشفاعة عن طريق الشافع لبيان منزلته.

4- بيان لأنواع شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم

أسئلة البحث:

1- كيف فهم المنكرون للشفاعة النصوص المثبتة للشفاعة؟

2- ما طريقة الجمع بين الآيات النافية للشفاعة والآيات المثبتة لها؟

3- هل الشفاعة تخالف حكم الله تعالى بوجود أحد في النار، أم هي –الشفاعة- من حكم الله تعالى؟

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي، القائم على جمع البيانات، وتحليلها بشكل مفصل، للوصول إلى نتيجة توضح حقيقة الشفاعة، كما استخدمت المنهج النقدي، في ابطال استدلال النفاة. ومن أهم خطوات المنهج مايلي:

1. كتابة الآيات بالرسم العثماني مع عزوها الى سورها.
2. تخريج الأحاديث الواردة والحكم على الأحاديث التي وردت في غير الصحيحين.
3. نسبة الأقوال وتوثيقها من مصادرها الأصلية.
4. الاعتماد في المقارنة على كتاب الكشاف للزمخشري الذي يمثل اتجاه النفاة، وعلى التفاسير المشهورة التي تمثل اتجاه السلف الصالح في اثبات الشفاعة.

حدود البحث:

آيات الشفاعة بين النفاة، والمثبتين.

الدراسات السابقة

موضوع الشفاعة من الموضوعات التي اهتم بها الباحثون، ومنها بحث: (الشفاعة عند أهل السنة والجماعة)، للشيخ د/ سعيد بن سالم الدرمكي، ويقع البحث في ست عشرة صحيفة، وتناول: معنى الشفاعة، وأنواعها، ودليلها، والفرق بينه وبين بحثي أني تناولت القول بنفي الشفاعة، مع بيان وجه استدلالهم، والرد عليهم قبل عرض أدلة المثبتين للشفاعة، وأيضا يوجد بحث (أحاديث الشفاعة رواية ودراية) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في السنة وعلومها من قسم السنة وعلومها، كلية أصول الدين بالرياض، إعداد: أحمد محمود بن حدمين بن إبراهيم، وهو بحث يهتم باحاديث الشفاعة، وأما بحثي فيهتم بالآيات القرآنية، وأوجه دلالتها، ومن الأبحاث (الشفاعة عند المثبتين والنافين) للدكتورة عفاف بنت حمد الونيس، نشر دار التوحيد الرياض 1429هـ وهو بحث جيد في جمع النصوص، وترتيبها، ولكن دون تحرير لاستدلال المخالفين والرد عليهم كما هو محرر ببحثي هذا.

تمهيد

الشفاعة

تعريف الشفاعة:-

لغة: الشَّفع: ما كان من العدد أزواجاً؛ تقول: كان وتراً فشفعته بالآخر حتى صار شفعاً[1]

والشفاعة: ضد الوتر، أو الفرد، فإذا انضم فردٌ إلى آخر: كان شفعا له.

وهي: أن يستوهب أحد لأحد شيئًا، ويطلب له حاجة من الغير، أو أن يدفع عنه مضرة، ولا بد من شافع ومشفوع له ومشفوع فيه ومشفوع إليه[2]

الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه[3]

أما اصطلاحا فالمعنى الاصطلاحي للشفاعة ليس بعيدا عن المعنى اللغوي، فحقيقته: ضم الشافع طلبه إلى طلب المشفوع له، فيصبح بذلك شفعاً وهو ضد الوتر.

قال ابن عاشور: وَالشَّفَاعَةُ: السَّعْيُ وَالْوَسَاطَةُ فِي حُصُولِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ سَوَاءٌ كَانَتِ الْوَسَاطَةُ بِطَلَبٍ مِنَ الْمُنْتَفِعِ بِهَا أَمْ كَانَتْ بِمُجَرَّدِ سَعْيِ الْمُتَوَسِّطِ [4]

فالمعنى: أنَّ الله يتفضَّلُ على أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أذن الله عز وجل له أن يشفع؛ ليكرمه.

فالفضل كله بيد الله تعالى ولا يملك أحد –من الله– شيئا، غاية الأمر أن الله يظهر كرمه على عباده الذين يريد كرامتهم على يد بعض من يحبهم سبحانه لاظهار مكانتهم عنده.

الشفاعة بين القديم والحديث:

أما معناها عند من ينكر الشفاعة، فإنكارها قديم حديث، فقديما أنكرها الخوارج، والمعتزلة، وعندهم ما يبررون به ذلك، وهو: أن مرتكب الكبيرة الذي مات بدون توبة هو كافر عند الخوارج فاسق عند المعتزلة مخلد في النار عند الفريقين، ولذلك نفوا وقوع الشفاعة للمذنبين، غير التائبين، وتفصيل قولهم يأتي أثناء البحث إن شاء الله تعالى؛ وفي العصر الحديث ظهر هذا المفهوم

(1) العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) مادة شفع 1/ 260

(2) معجم الألفاظ ، والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، ط دار الفكر ص: ٢٧١، والتفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ) ج٣، ص: ٥٩. دار إحياء التراث العربي – بيروت

(3) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ) باب الشين ص 127

(4) التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد] : محمد الطاهر ابن عاشور [ت 1393 هـ] ج1 ص 486

المنحرف للشفاعة عند بعض المعاصرين الذين هم ورثة الخوارج والمعتزلة في هذا الفهم ، كما ظهر ذلك جليا في كتاب الشفاعة محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين حيث وردت فيه عدة قواعد ومنها:

1- الوسيلة الوحيدة للنجاة هي: أ-وقاية الله عباده من الذنوب فلا يرتكبوها ب-التوبة قبل الممات لمن أذنب[1] جعل من فهمه للآيات التي ظاهرها ينفي الشفاعة قانونا لا ينخرم، ومن يثبت الشفاعة، فهو يهدم الناموس،[2]

2- جواز وقوع الشفاعة للمؤمنين العاصين –بفهم د مصطفى محمود- وساطة تدخل من لا يستحق الجنة[3]

3- الشفاعة –بفهمه- إضافة إلى علم الله تعالى، وهذا محال[4]

4- الشفاعة –عنده- إشراك في حكم الله تعالى، والله يقول وَلَا يُشرِكُ فِي حُكمِهِۦٓ أَحَدا [5] [الكهف: 26]

ويظهر لنا جليا من خلال تلك القواعد خوف المؤلف من تواكل المسلمين وظنهم انهم ما داموا من امة التوحيد فكلمة التوحيد تكفيهم وهذا هو السبب الذي انكر الشفاعة لأجله وهو معنى غير صحيح، وما بني عليه من انكار للشفاعة فهو غير صحيح أيضا، وذلك لأن الشفاعة نوع من فضل الله تعالى، وسعة رحمته، وطريق إلى مغفرته وعفوه، فمن ينفي وسيلة المغفرة – الشفاعة- ينفي الأصل، وهي رحمة الله وعفوه وطلاقة ارادته –سبحانه- في أن يعفو عمن يشاء، فغيرة الدكتور على محارم الله تعالى مقبولة ، ولكن النتيجة التي رتبها على هذه الغيرة مردودة، لأنها مصادمة للنصوص الصحيحة الصريحة، أما المسلمون المتواكلون، فزجرهم ليس بنفي الشفاعة، وإنما نزجرهم بأمرين،

الأول: أن من عاش بعيدا عن طاعة الله، ولم يعمل بمقتضى كلمة التوحيد نخاف عليه أن ينسلخ من التوحيد بسوء الخاتمة، لأن من عاش على المعصية تشبع قلبه بها، ولم يذق حلاوة كلمة التوحيد؛ فيخاف عليه سوء الخاتمة، ولذلك وصف النبي صلى الله عليه وسلم قائل: لا إله إلا الله بالإخلاص، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ ظَنَنْتُ – يَا أَبَا هُرَيْرَةَ – أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ) [6]، فهذا الحديث يدل على أن الشفاعة درجات، وأسعد الناس بها أي: المحصلون لها كاملة غير منقوصة هو: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، بحضور قلب، وإخلاصه، الذي يستلزم العمل بمقتضاها، ولكن الحديث أيضا يثبت درجات أقل من ذلك، وذلك يشمل كل من قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وعمله قليل، أو مع وجود مخالفات ومعاص، ولذلك ترجم الامام البخاري لهذا الحديث بقوله: (باب الْحِرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ) بمعنى الحرص على العلم، ويشرح ابن بطال هذا المعنى فيقول: فيه أن الحريص على الخير والعلم يبلغ بحرصه إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعانى، لأن المسائل الظاهرة إلى الناس كافة يستوى الناس فى السؤال عنها، لاعتراضها فى أفكارهم، وما

(1) في ص 18 من كتابه المذكور.
(2) كما نص على ذلك في ص 19
(3) كما ورد في ص20
(4) كما ورد في ص22
(5) ص23
(6) صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ،كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب: الْحِرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ.ح ٩٩ ج1 ص 49

غمض من المسائل، ولطف من المعانى، لا يسئل عنها إلا راسخ نجّاث، يبعثُه على ذلك الحرص، فيكون ذلك سببًا إلى إثارة فائدة يكون له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة[1] فالأمر الأول الذي ينزجر به المؤمنون هو علمهم، وتعليمهم بحقوق (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

الثاني: وأما الأمر الثاني فهو أن نقول لأنفسنا جميعا: إن يوم القيامة عظيم، لا يضمن الطائعون فيه نجاة، وهو يوم يزلزل قلوب العارفين، حتى خافوا من عذاب الله تعالى، الملائكة، والنبيون في مقام الخوف لا يتكلم أحد إلا بإذن رب العالمين؛ (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ قَالَتِ امْرَأَتُهُ: هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ فَنَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَظْرَةَ غَضْبَانٍ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكِ؟» فَقَالَتْ: فَارِسُكَ وَصَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: «وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي» فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ قَوْلِهِ لِعُثْمَانَ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِهِمْ[2]

هو يوم تتجلى فيه قدرة الله ظاهرة للعيان وجميع أوصاف الله تعلى كذلك، فهي في الدنيا مخبأة خلف الأسباب، ولذلك اجترأ على المعصية من اجترأ؛ بل اجترأ على الكفر من كفر، أما في القيامة فلا أسباب، ولا فعل لأحد إلا لله سبحانه وَقَالُواْ لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدتُّم عَلَينَا قَالُواْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيءٖ وَهُوَ خَلَقَكُم أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ [فصلت: 21]، سبحانه فَعَّال لِّمَا يُرِيدُ [البروج: 16] قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفعَلُ مَا يَشَاءُ[آل عمران: 40]، إِنَّ ٱللَّهَ يَفعَلُ مَا يَشَاءُ [الحج: 18] فإرادته المطلقة، سارية في خلقه لا راد لحكمه، ولا معقب على قضائه، وحجته بالغة، فكل ما سوى الله سبحانه مخلوق، مربوب، كل ما لدينا موهوب منه سبحانه، فمن له يد عنده؟ لا أحد، الكل من عطائه، مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشرِكُ فِي حُكمِهِۦٓ أَحَدا [الكهف: 26]، فمكان الالوهية مصون مرهوب محفوظ، والشفاعة من حكمه، وعطائه، وجوده، وإحسانه.

ومن خلال الحديث السابق يظهر لنا الفهم الصحيح للشفاعة وبعد الرد الإجمالي نأتي لمناقشة نفاة الشفاعة من المعتزلة والاتجاه المعاصر من خلال المبحثين القادمين.

المبحث الأول: آيات ظاهرها نفي الشفاعة:-

جاء في كتاب الله تعالى آيات ينفي ظاهرها وجود الشفاعة، ومن هذه الآيات: وَٱتَّقُواْ يَوما لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفس شَيا وَلَا يُقبَلُ مِنهَا شَفَٰعَة وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدل وَلَا هُم يُنصَرُونَ 48 [البقرة: 48]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقنَٰكُم مِّن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَوم لَّا بَيع فِيهِ وَلَا خُلَّة وَلَا شَفَٰعَة وَٱلكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ [البقرة: 254-255]

أَفَمَن حَقَّ عَلَيهِ كَلِمَةُ ٱلعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ [الزمر: 19]

---

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449 هـ) ج ص175

(2) المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360 هـ) باب العين (نِسْبَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ) 9 /33 دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف ولكن الشيخ شاكر صححه بروايات أخرى وقال: إسناده صحيح، ورواه ابن سعد في الطبقات 3/ 1/ 290 عن يزيد بن هرون وعفان بن مسلم وسليمان بن حرب، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة،(مسند أحمد – ت شاكر – ط دار الحديث) حديث رقم 2127 جزء2 ص ٥٣٠

فَمَا تَنفَعُهُم شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ [المدثر: 48]،

توجيه الآية الأولى: قوله تعالى: وَٱتَّقُواْ يَوما لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفس شَي ا وَلَا يُقبَلُ مِنهَا شَفَٰعَة وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدل وَلَا هُم يُنصَرُونَ [البقرة: 48]

وجه الدلالة: يقول القاضي عبدالجبار: "الآية تدل على أن من استحق العقاب لا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم له، ولا ينصره؛ لأن الآية وردت في صفة اليوم ولا تخصيص فيها، فلا يمكن صرفها إلى الكفار دون أهل الثواب، وهي واردة فيمن يستحق العذاب في ذلك اليوم، لأن هذا الخطاب لا يليق إلا بهم، فليس لأحد أن يطعن على ما قلناه بأنه يمنع الشفاعة للمؤمنين أيضاً، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لهم لكان قد أغنى عنهم وأجزى، فكان لا يصح أن يقول – تعالى –: لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفس شَيا ، ولما صح أن يقول: وَلَا يُقبَلُ مِنهَا شَفَٰعَة. وقد قبلت شفاعته – صلى الله عليه وسلم – فيهم. ولما صح أن يقول: وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدل ؛ لأن قبول الشفاعة وإسقاط العقاب أعظم من كل فداء يسقط به ما قد استحقوه من المضرة، بل كان يجب أن تكون الشفاعة فداء لهم عما قد استحقوه .. ولما صح أن يقول: ... وَلَا هُم يُنصَرُونَ ، وأعظم النصرة تخليصهم من العذاب الدائم بالشفاعة. فالآية دالة على ما نقوله من جميع هذه الوجوه"[1]

وقال أيضا في كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن في تفسيره للاية: وبيَّن لبني إسرائيل ولنا بقوله – تعالى –: وَٱتَّقُواْ يَوما لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفس شَيا وَلَا يُقبَلُ مِنهَا شَفَٰعَة وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدل إن من حكمة ذلك اليوم أن المرء ينتفع بعمله دون هذه الامور، وإن أهل العقاب لا يتخلصون إلا بما يكون منهم في الدنيا من التوبة وتلافي المعصية[2] .

ونفس المعنى نجده عند الزمخشري؛ حيث يستفيد من تنكير نَفسٌ عَن نَّفس ، وكذلك تنكير شَي فيقول: ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الأشياء وهو الإقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله: وَلَا يُقبَلُ مِنهَا شَفَٰعَة وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدل أي: فدية؛ لأنها معادلة للمفدى ... وقيل: كانت اليهود تزعم: أن آبائهم الأنبياء يشفعون لهم؛ فأويسوا؛ فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة. قلت: نعم؛ لأنه نفي أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ثم نفي أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة[3].

هكذا أخذ نفاة الشفاعة الآية الكريمة على ظاهرها، دون ردها إلى مثلها في نفس الموضوع، لأن تفسير الآيات موضوعيا يبين المعنى الصحيح، وذلك موجود عند أهل السنة،

تفسير أهل السنة للآية :

الحافظ ابن كثير بين بأكثر من دليل أن المراد بمن لا تقبل الشفاعة فيهم هم: الكفار فخصص عموم نَفسٌ عَن نَّفس [البقرة: 48]، حيث قال: {وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ} يعني من الكافرين كما قال:{فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ} [المدثر: 48] وكما

(1) متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ت 415هـ ط. مكتبة دار التراث – القاهرة ص:٩٠.
(2) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ت 415هـ ط دار النهضة الحديثة بيروت لبنان.
(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت 538 هـ]، ج١، ص:٦٧ ط دار المعرفة بيروت

قال عن أهل النار {فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: 100] وقوله تعالى: {وَلا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ} أي لا يقبل منها فداء، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدى بِهِ} [آل عمران: 91] وقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 36] وقال تعالى:{وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها} [الأنعام: 70] وقال: {فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْواكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ} [الحديد: 15]. فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهبا، كما قال تعالى: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفاعَةٌ} [البقرة: 254] وقال: {لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ} [إبراهيم:31][1].

وهذا من ابن كثير جمع للآيات الواردة في الموضوع الواحد، وتفسير لبعضها ببعض ويوم القيامة يوم طويل، فيه أوقات لا يتكلم فيها أحد من شدتها، وأوقات يؤذن فيها بالكلام لمن رضي قوله، ولذلك قال القاسمي: (تنبيه) تمسكت المعتزلة بهذه الآية على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع. فعلم أنها لا تقبل للعصاة. والجواب: أنها خاصة بالكفار. ويؤيده أن الخطاب معهم كما قال: {فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ} [المدثر: 48] ، وكما قال عن أهل النار {فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: 100- 101] فمعنى الآية أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة، ولا ينقذ أحدا من عذابه منقذ ولا يخلص منه أحد)[2].

وفي الانتصاف: من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها. وأما من آمن بها وصدقها، وهم أهل السنة والجماعة، فأولئك يرجون رحمة الله، ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين وإنما ادخرت لهم. وليس في الآية دليل لمنكريها، لأن قوله يَوْماً أخرجه منكرا. ولا شك أن في القيامة مواطن. ويومها معدود بخمسين ألف سنة. فبعض أوقاتها ليس زمانا للشفاعة. وبعضها هو الوقت الموعود، وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد وردت آيات كثيرة ترشد إلى تعدد أيامها واختلاف أوقاتها. منها قوله تعالى:{ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ} [المؤمنون: 101] ، مع قوله: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ}[الصافات: 27] فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين:

أحدهما: محل للتساؤل والآخر ليس محلا له، وكذلك الشفاعة. وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة، رزقنا الله الشفاعة. وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة[3]

والحق أن العموم في الآية الكريمة غير مسلم، وذلك لأمرين:

الأول: اتفاق المسلمين على ثبوت الشفاعة يوم القيامة للطائعين والتائبين لرفع الدرجات، فمن ينكر الشفاعة–قديما، وحديثا– إنما ينكرها في حق من مات على معصية، وهذا تخصيص بلا مخصص.

(1) تفسير القرآن العظيم : لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ) 1/ 159

(2) محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332 هـ) 1/ 302

(3) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332 هـ) ٣٠٣/1

الثاني: سياق الآيات يخصص عموم لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفس شَيا [البقرة: 48] إذ الآية التي قبلها والتي بعدها حديث، وخطاب مباشر لبني اسرائيل، فوجب أن تكون الآية وسطهما خطابا لبني اسرائيل يَٰبَنِي إِسرَٰٓءِيلَ ٱذكُرُواْ نِعمَتِيَ ٱلَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم وَأَنِّي فَضَّلتُكُم عَلَى ٱلعَٰلَمِينَ 47 وَٱتَّقُواْ يَوما لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفس شَيا وَلَا يُقبَلُ مِنهَا شَفَٰعَة وَلَا يُؤخَذُ مِنهَا عَدل وَلَا هُم يُنصَرُونَ 48 وَإِذ نَجَّينَٰكُم مِّن ءَالِ فِرعَونَ يَسُومُونَكُم سُوءَ ٱلعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبنَاءَكُم وَيَستَحيُونَ نِسَاءَكُم وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاء مِّن رَّبِّكُم عَظِيم 49 [البقرة: 47-48-49] .

انظر إلى ما ذكره ابن عاشور في مناسبة آية الأمر باتقاء عظم يوم القيامة بما قبلها: عطف التحذير على التذكير، فإنه لما ذكرهم بالنعمة وخاصة تفضيلهم على العالمين في زمانهم وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه تفضيل ذاتي فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم فعقب بالتحذير من ذلك [1].

فالسياق كله واحد والمخاطب لم يتغير، والقرطبي: يصرح في تفسيره بما يفيده سياق الآية، وأنها مع سوابقها ولواحقها: خطاب لبني إسرائيل فيقول: "إن بني إسرائيل قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وأبناء أنبيائه وسيشفع لنا آباؤنا، فأعلمهم الله تعالى عن يوم القيامة: أنه لا تقبل فيه الشفاعات، ولا يؤخذ فيه فدية، وإنما خص الشفاعة، والفدية، والنصر بالذكر؛ لأنها هي المعاني التي اعتادها بنو آدم في الدنيا، فإن الواقع في الشدة لا يتخلص إلا بأن يشفع له أو ينصر أو يفتدي[2].

والقرطبي يَلْفِت نظرنا إلى سياق الآية: فكله خطاب إلى بني إسرائيل فالسابقة وهي قوله – تعالى –: يَٰبَنِي إِسرَٰٓءِيلَ ٱذكُرُواْ نِعمَتِيَ ٱلَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم وَأَنِّي فَضَّلتُكُم عَلَى ٱلعَٰلَمِينَ [البقرة: 47]، واللاحقة، وهي قوله – تعالى –: وَإِذ نَجَّينَٰكُم مِّن ءَالِ فِرعَونَ يَسُومُونَكُم سُوءَ ٱلعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبنَاءَكُم وَيَستَحيُونَ نِسَاءَكُم وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاء مِّن رَّبِّكُم عَظِيم [البقرة: 49]، وآيتنا – موضع الحديث – بين هاتين الآيتين، فالخطاب كله لبني إسرائيل، والشفاعة التي يدعيها بنو اسرائيل لا تثبت لهم، لعدم إيمانهم بالرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، ولتحريفهم التوراة.

توجيه الآية الثانية: قوله تعالى –: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقنَٰكُم مِّن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَوم لَّا بَيع فِيهِ وَلَا خُلَّة وَلَا شَفَٰعَة وَٱلكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ 254 ٱللَّهُ [البقرة: 254-255]

استدل المعتزلة، ومن وافقهم بهذه الآية الكريمة على نفي الشفاعة؛ قال الزمخشري: وَلَا خُلَّة حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لن تجدوا شفيعًا يشفع لكم حط الواجبات؛ لأن الشفاعة ثمة في الزيادة"[3].

وقد رد ابن المنير، فقال: أوقات القيامة متعددة والشفاعة في بعضها ثابتة، فكل ما ورد مفهما لنفيها حمل على الأيام الخالية منها جمعا بين الأدلة، كما ورد قوله – تعالى –: فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَينَهُم يَومَئِذ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ [المؤمنون: 101] وورد: وَأَقبَلَ بَعضُهُم عَلَىٰ بَعض يَتَسَاءَلُونَ [الصافات: 27] وورد: فَيَومَئِذ لَّا يُسَٔلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنس وَلَا جَانّ [الرحمن: 39]، وورد:

(1) التحرير والتنوير 1 /484

(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ج١، ص: ٣٢٥، ط: الدار الريان للتراث.

(3) الكاشف، ج1، ص:١٥2.

وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ [الصافات: 24] ولا تخلص في أمثال هذه الآي باتفاق إلا الحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها، وكذلك أمر الشفاعة سواء. رزقنا اللَّه الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة [1].

وأما الامام الطبري فيستدل بالسياق على خصوصية الكفار بعدم انتفاعهم بالشفاعة فيقول عند تفسيره لهذه الآية: وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص، وإنما معناه:"من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة"، لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به، يشفع بعضهم لبعض .... وأما قوله:"والكافرون هم الظالمون"، فإنه يعني -تعالى ذكره- بذلك: والجاحدون لله المكذبون به وبرسله "هم الظالمون"، يقول: هم الواضعون جحودهم في غير موضعه، والفاعلون غير ما لهم فعله، والقائلون ما ليس لهم قوله، فإن قال قائل: وكيف صرف الوعيد إلى الكفار والآية مبتدأة بذكر أهل الإيمان؟ قيل له: إن الآية قد تقدمها ذكر صنفين من الناس: أحدهما أهل كفر، والآخر أهل إيمان، وذلك قوله:"ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر". ثم عقب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به، بحض أهل الإيمان به على ما يقربهم إليه من النفقة في طاعته، وفي جهاد أعدائه من أهل الكفر به، قبل مجيء اليوم الذي وصف صفته. وأخبر فيه عن حال أعدائه من أهل الكفر به، إذ كان قتال أهل الكفر به في معصيته ونفقتهم في الصد عن سبيله، فقال تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا أنتم مما رزقناكم في طاعتي، إذ كان أهل الكفر بي ينفقون في معصيتي من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيدرك أهل الكفر فيه ابتياع ما فرطوا في ابتياعه في دنياهم، ولا خلة لهم يومئذ تنصرهم مني، ولا شافع لهم يشفع عندي فتنجيهم شفاعته لهم من عقابي. وهذا يومئذ فعلي بهم جزاء لهم على كفرهم، وهم الظالمون أنفسهم دوني، لأني غير ظلام لعبيدي[2]

وعند جمع النصوص يتبين أن المراد: صنف مخصوص لا تناله الشفاعة، لأن الشفاعة نوع من الرحمة، لا ينالها إلا من دخل الإيمان قلبه.

توجيه الآية الثالثة: أَفَمَن حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ [الزمر: 19]،

ظاهرها يدل على فهم المعتزلة، فظاهرها ينفي أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – منقذًا لأهل النار، وما الشفاعة إلا إنقاذ لمن في النار، فالآيةُ تنفي الشفاعة،

ولذلك قال القاضي عبد الجبار: وإذا لم يجز أن ينقذ الرسول من في النار، فكيف يصلح ما يقوله القوم من أنه -صلى الله عليه وسلم- بشفاعته يخرج الكثير من أهل النار؟[3].

وقال أيضًا: "ويدل أيضا على أنه – صلى الله عليه وسلم – لا يشفع لهم؛ لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذًا من النار، وقد نفى الله — تعالى – عنه ذلك"[4].

(1)الانتصاف من الكشاف» لأحمد المعروف بابن المنير الإسكندري [ت 683 على ذيل الكاشف، ج١، ص:١٥٢.

(2) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (310 هـ) دار التربية والتراث – مكة المكرمة5/ ٣٨٥

(3) تنزيه القرآن : ٣٦٢.

(4) متشابه القرآن، ج٢، ص:٥٩٢.

ولكي نفهم الآية ونعلم من هم الذين لا ينقذهم – صلى الله عليه وسلم – من النار: يجب أن نعلم من هم الذين حقت عليهم كلمت العذاب والذين حقت عليهم كلمة العذاب هم الكفار فهم أهل النار، وقد نطق القرآن بذلك، وسمى الكفار أصحابًا للنار، فقال – تعالى –: وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ [الأعراف: 50]، فقد ذكر أصحاب الجنة لأصحاب النار علة عدم إعطائهم من الماء والرزق أن الله حرمهما على الكافرين مما يدل على أن ماء الجنة، ورزقها، غير محرمين على الموحدين، مما يدل على دخولهما الجنة، ومن وسائل دخولهما الجنة الشفاعة، فدل هذا: أن الآية لا تنفي الشفاعة؛ والآية تدل أيضا أن: أصحاب النار هم الكافرون، وعليه: فهم الذين حقت عليهم كلمت العذاب، وهم الذين لن تنالهم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولن ينقذهم صلى الله عليه وسلم.

والآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا لتسكن خاطره جهة من سبقت كلمة الله عليهم بالعذاب فلا يحزن لعدم إيمانهم، يشير إلى ذلك الحافظ ابن كثير فيقول: يقول تعالى: أفمن كتب الله أنه شَقِي تَقْدر تُنْقذُه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له[1]

ويؤكد ابن عاشور على أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا، فيقول: لما أفاد الحصر في قوله: لهم البشرى [الزمر: 17] والحصران اللذان في قوله: أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب [الزمر: 18]، أن من سواهم وهم المشركون لا بشرى لهم ولم يهدهم الله ولا ألباب لهم لعدم انتفاعهم بعقولهم، وكان حاصل ذلك أن المشركين محرومون من حسن العاقبة بالنعيم الخالد لحرمانهم من الطاعة التي هي سببه فرع على ذلك استفهام إنكاري مفيد التنبيه على انتفاء الطماعية في هداية الفريق الذي حقت عليه كلمة العذاب، وهم الذين قصد إقصاؤهم عن البشرى، والهداية والانتفاع بعقولهم، بالقصر المصوغة عليه صيغ القصر الثلاث المتقدمة كما أشرنا إليه[2]

ثم إن هذه الآية –والآيات في نفس المعنى– تبين مدى رحمة النبي –صلى الله عليه وسلم– بأمته وحرصه على إيمانهم، قال – تعالى –: فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا [الكهف: 6]، وقال تعالى –: لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ [الشعراء: 3]؛ فالنبي – صلى الله عليه وسلم – كان يكلف نفسه مشقة عدم إيمان الناس به؛ فأخبره تعالى في هذه الآية: إن هناك نوعًا من الناس لن يؤمن أبدًا، ولن ينفع معه الإنذار؛ لأنه تعالى علم –أزلًا– عدم إيمانه؛ فلا تحزن إذا لم يؤمن بعض الناس؛ لأن كلمة الله سبقت عليهم بعدم الإيمان، وسبقت كلمة الله عليهم بالعذاب في النار، قال – تعالى – مخاطبا إبليس: لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ [ص: 85]؛ فموضوع الآية ليس للحديث عن الشفاعة اثباتا أو نفيا وإنما موضوعها هو تسكين فؤاد النبي – صلى الله عليه وسلم – ليس مقصرا، فلا يكلف نفسه فوق طاقتها، ولا يرهقها عسرًا؛ فإنه – صلى الله عليه وسلم – مهما تفنن أساليبَ للبلاغ؛ فلن يؤمن من حق عليه كلمة العذاب.

(1) تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 – 774 هـ) 7/ 91 دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية

(2) تفسير ابن عاشور ٣٦٨/23

والإمام القرطبي ينص على أن الذين حقت عليهم كلمة العذاب هم الكفار فيقول: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يحرص على إيمان قومه، وقد سبقت لهم من الله الشقاوة؛ فنزلت هذه الآية قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الايمان [1]

ويربط الإمام الجمل بين الآية وسابقتها فيقول عن هذه الآية: بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الإجمال، وتسجيل عليهم بحرمان الهداية، وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها، كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب؛ فإن المراد بها قوله تعالى – لإبليس: لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم أَجۡمَعِينَ [ص: 85]، وقوله تعالى –: لَّمَن تَبِعَكَ مِنهُم لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُم أَجۡمَعِينَ [الأعراف: 18][2].

وجعل الآية لا تتناول الشفاعة، وإنما هي للمدعوين في الدنيا، وهذا معنى قال به الزمخشري نفسه؛ حيث قال: أصل الكلام: (أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه)، جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار، والفاء: فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره: أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذهم، والهمزة الثانية: هي الأولى كررت؛ لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد، ووضع من في النار موضع الضمير، فالآية على هذا جملة واحدة، ووجه آخر: وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب، فأنت تخلصه؛ لأن أفأنت تنقذه يدل عليه نزول استحقاقهم العذاب، وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكد نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار، وقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ 19﴾ [الزمر: 19] يفيد أنّ الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده، لا يقدر على ذلك أحد غيره، فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار، لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه"[3].

وخلاصة القول أن الآية في الكفار والنبي صلى الله عليه وسلم لا يخرجهم من النار، ومقام الخلاف بيننا ليس في الكافرين، وإنما فيمن مات على التوحيد، وحصلت له سيئات أدخلته النار.

توجيه الآية الرابعة

قوله تعالى فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ [المدثر: 48]،

فالآية: تخبر عن صنف من الناس أن شفاعة الشافعين لن تنفعهم، ولن تفيدهم؛ وهؤلاء قوم لم يقيموا الصلاة، ولم يطعموا المسكين، وتخبر عن فعلهم الرابع: أنهم كانوا يكذبون بيوم الدين، وهنا يقول أهل السنة: إنها واردة في الكافرين؛ بدليل هذه الصفة الرابعة بينما يفصل المعتزلة بين الصفات الأربع من عند أنفسهم، فيقول الزمخشري: "فإن قلت: أيريدون أنّ كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار، أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعا. فإن قلت: لم أخر التكذيب

(1) الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص:٥٦٨٨.

(2) حاشية الجمل على الجلالين: الفتوحات الإلهية، بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ج٣، ص:٥٩٥،ط الحلبي

(3) الكشاف، ج٣، ص: ٣٤٣.

وهو أعظمها؟ قلت: أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب. كقوله: ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ [البلد: 17][1] والْيَقِينُ: الموت ومقدماته، أى: لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة، والنبيين، وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم، لأنّ الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم. وفيه دليل على أنّ الشفاعة تنفع يومئذ، لأنها تزيد في درجات المرتضين"[2]

ونحن نرى أن الزمخشري هنا يجعل بعض هذه الصفات يدخل النار ولا تنفع معها شفاعة الشافعين كما أن كلها يفعل ذلك وهذا منه تحكم لا مساغ له، فالواو هي أداة العطف وهي تفيد المصاحبة والاجتماع في الحكم وسياق الآيات بعد نفي نفع شفاعة الشافعين، يدل على أن المخبر عنهم ليسوا بمؤمنين فهم عن التذكرة معرضون، حتى أنهم لشدة اعراضهم كأنهم الحمر الفارة من الصياد أو الأسد فهل يصدق ذلك على المؤمنين؟ اللهم لا؛ ولو سلمنا له أن الآية التي تنفي الشفاعة تصدق على المتصفين ببعض الصفات، ولكننا نقول: فما السر في عدول الأسلوب عن نفي الفعل إلى نفي الانخراط في سلك الفاعلين، أي: لماذا لم يقولوا مخبرين عن أنفسهم (لم نصل)، بل: قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ [المدثر: 43] إنني ألحظ في هذا التعبير: نفيهم لوجودهم في صفوف المصلين أي: ليسوا من المسلمين ولو أنهم كانوا مسلمين ولا يصلون لقالوا لم نك نصلي كالذي هو من بلد مشهور أهلها بالكرم وهو ليس بكريم، فلا ينفي نسبته إلى أصل البلد ولكن ينفي عن نفسه صفة الكرم؛

ثم وصفهم بأنهم خاضوا مع الخائضين، فلم يرد في الكتاب العزيز وصف الخوض مع الخائضين إلا في حق الكفار؛ كما قال – سبحانه –: كَٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُم قُوَّةٗ وَأَكثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَولَٰدٗا فَٱستَمتَعُواْ بِخَلَٰقِهِم فَٱستَمتَعتُم بِخَلَٰقِكُم كَمَا ٱستَمتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم بِخَلَٰقِهِم وَخُضتُم كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَت أَعمَٰلُهُم فِي ٱلدُّنيَا وَٱلأٓخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلخَٰسِرُونَ [التوبة: 69] وقال – تعالى –: وَلَئِن سَأَلتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلعَبُ قُل أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُم تَستَهزِءُونَ 65 لَا تَعتَذِرُواْ قَد كَفَرتُم بَعدَ إِيمَٰنِكُم إِن نَّعفُ عَن طَائِفَة مِّنكُم نُعَذِّب طَائِفَةَۢ بِأَنَّهُم كَانُواْ مُجرِمِينَ [التوبة: 65-66]

ولأن العلماء سلموا بأن هذه صفات الكافرين استدلوا بأن الشفاعة تنال المؤمنين بهذه الآية؛ لأنها لما نفت الشفاعة عن الكافرين على سبيل الجزاء لهم عن كفرهم فهي تثبت الشفاعة للمؤمنين لبركة إقرارهم بالله العظيم؛ ولذلك قال الإمام النسفي: قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ أي: لم نعتقد فرضيتها ولم نكن نطعم المسكين، كما يطعم المسلمون. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلخَائِضِينَ الخوض: الشروع في

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

(1) يقصد الزمخشري هنا في قوله تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ 42 قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ 43 وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ 44 وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ 45 وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر: 42-46] بيان أن تأخير التكذيب عن سابقيه ليس لقلة أهميته عمن سبقه بل لتعظيم التكذيب كما في ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ 12 فَكُّ رَقَبَةٍ 13 أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ 14 يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ 15 أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ 16 ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ 17﴾ [البلد: 12-17] فالإيمان جاء بعد فك الرقبة وإطعام المساكين وهو أعظم منهما ولذلك عطف بـ ثم التي تفيد بعد المنزلة

(2) الكشاف، ج٤، ص: ١٦٢.

الباطل، أي: نقول الباطل والزور في آيات الله. وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَومِ ٱلدِّينِ، الحساب والجزاء حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ الموت فَمَا تَنفَعُهُم شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ من الملائكة والنبين والصالحين؛ لأنها للمؤمنين دون الكافرين. وفيها دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين[1]

والحافظ ابن كثير يؤكد على أن الآيات في الكافرين، فيقول: قال الله تعالى: فَمَا تَنفَعُهُم شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ أي: من كان متصفا بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنفع إذا كان المحل قابلا، فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة، فإنه له النار لا محالة، خالدا فيها[2]

المبحث الثاني: الآيات التي استدل بها أهل السنة على اثبات الشفاعة:

واستدل أهل السنة: على إمكان الشفاعة ووقوعها يوم القيامة بعد نقض وجه استدلال منكريها على نفيها بآيات كثيرة من كتاب الله سبحانه منها:

1- آيات تثبت الشفاعة وتقيدها بإذنه تعالى ورضاه وهي:-

أ. مَن ذَا ٱلَّذِي يَشفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذنِهِۦۚ [البقرة: 255]

ب. يُدَبِّرُ ٱلۡأَمرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعدِ إِذنِهِۦۚ [يونس: 3]

ج. وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرتَضَىٰ [الأنبياء: 28]

د. لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهدا [مريم: 87]

هـ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابا [النبأ: 38]

2- آيات تخبر عن طلب الشفاعة ومن ذلك:-

أ. سمحمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَستَغفِرُواْ لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوٓاْ أُوْلِي قُربَىٰ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُم أَصحَٰبُ ٱلجَحِيمِ 113 وَمَا كَانَ ٱستِغفَارُ إِبرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوعِدَة وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنهُ إِنَّ إِبرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيم [التوبة: 113-114]

ب. فَٱغفِر لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِم عَذَابَ ٱلجَحِيمِ [غافر: 7]

3- : آيات فسرت بالشفاعة وهي:-

أ. وَمِنَ ٱلَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِۦ نَافِلَة لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحمُودا [الإسراء: 79]

ب. وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَىٰ [الضحى: 5]

(1) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710 هـ ، ج٤، ص: ٣١٢. الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 273/8

أما آيات القسم الأول؛ فتفيد في عمومها: أن هناك شفاعاتٍ ستقع يوم القيامة، غاية ما هناك أنها موقوفة على إذن الله – تعالى –، وهذا الشرط هو محل اتفاق بين جميع علماء المسلمين والآيات عامة في وجود الشفاعة لمن يأذن الله تعالى لهم، ولا يدخل في هذا العموم من لا تقبل الشفاعة لهم ولا حق لهم في مغفرة الله تعالى، وهم أهل الشرك؛ قال تعالى في حق أهل سقر: فَمَا تَنفَعُهُم شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ [المدثر: 48]، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِۦ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ [النساء: 48]، ويحكي عن الغاوين الذين كانوا يعبدون آلهة من دون الله وساووهم برب العالمين قولهم: فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ 100 وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ 101 فَلَو أَنَّ لَنَا كَرَّة فَنَكُونَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ [الشعراء: 100-102]،

ولم تستثن النصوص غير أهل الشرك فبقى أهل الكبيرة والمعاصي داخلين في عموم النصوص القائلة بالشفاعة الموقوفة على إذن الله – تعالى –.

قال القرطبي: "قوله – تعالى –: لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ [مريم: 87] أي: هؤلاء الكفار لا يملكون الشفاعة لأحدٍ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهدا [مريم: 87]، وهم المسلمون، فيملكون الشفاعة فهو استثناء الشيء من غير جنسه، أي: لكن: مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهدا، يشفع. وقال أيضا: وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرتَضَىٰ [الأنبياء: 28]، قال ابن عباس: هم أهل الشهادة (لا إله الا الله)، وقال مجاهد: هم كل من رضي الله عنه[1]

والسر في ذكر ربنا سبحانه وتعالى: الإذن مع الشفيع: هو: أن ربنا سبحانه وتعالى يخاطب قومًا يدعون لأصنامهم المنزلة عند الله تعالى، وأنهم يشفعون لهم؛ ولذلك فهم يعبدونهم من دون الله –سبحانه وتعالى–

قال الطبري: وأما قولُه جلَّ ثناؤه: مَن ذَا ٱلَّذِي يَشفَعُ عِندَهُۥٓ ، فإنه يعنى بذلك: من ذا الذي يَشْفَعُ لمماليكِه إن أراد عقوبتَهم إلا أن يُخلِّيَه ويَأذنَ له بالشفاعةِ لهم، وإنما قال ذلك جل ثناؤه لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثانَنا هذه إلا لِيُقَرِّبونا إلى اللهِ زُلْفَى. فقال اللهُ لهم: لى ما في السماواتِ وما في الأرضِ مع السماواتِ والأرضِ مِلْكًا، فلا تَنبغِى العبادةُ لغيرِى، فلا تَعبُدوا الأوثانَ التي تزعُمون أنها تُقَرِّبُكم منى زُلْفَى، فإنها لا تنفَعُكم عندى، ولا تُغْنِى عنكم شيئًا، ولا يَشْفَعُ عندى أحدٌ لأحدٍ إلا بتَخْلِيَتِى إيَّاه والشفاعةَ لمن يَشْفَعُ له مِن رُسُلى وأوليائى وأهلِ طاعتِى[2]

قال الرازي: مَن ذَا ٱلَّذِي يَشفَعُ عِندَهُۥٓ: "استفهام معناه: الإنكار والنفي، أي: لا يشفع عنده أحد إلا بأمره، وذلك: أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم، وقد أخبر الله –تعالى– عنهم بأنهم يقولون: مَا نَعبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلفَىٰ [الزمر: 3]، وقولهم: هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ [يونس: 18]، ثم بيّن –تعالى– أنهم لا يجدون هذا المطلوب، فقال: وَيَعبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنفَعُهُم [يونس: 18]، فأخبر الله –تعالى– أنه لا شفاعة عنده لأحد إلا من استثناه الله –تعالى– بقوله: إِلَّا بِإِذنِهِۦ [البقرة: 255]، ونظيره قوله تعالى: يَومَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلمَلَٰٓئِكَةُ صَفّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابا [النبأ: 38]....؛ ويقول أيضا: أما قوله: لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ، أي: فليس لهم أن يشفعوا لغيرهم، كما يملك المؤمنون، وقال بعضهم: بل المراد: لا يملك غيرهم أن يشفعوا لهم، وهذا الثاني أولى؛ لأن حمل الآية على الأول: يجرى مجرى إيضاح الواضحات، وإذا ثبت

(1) القرطبي: ج٦، ص: ٤٣٢١.

(2) جامع البيان الطبري 535/4

ذلك دلت الآية على حصول الشفاعة لأهل الكبائر؛ لأنه قال عَقِبه: إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهدا [مريم: 87]، والتقدير: أن هؤلاء لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم إلا إذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهدًا: التوحيد والنبوة[1]

والحق أن هذه الآية من أقوى الأدلة على اثبات الشفاعة للموحدين، ولمن مات على التوحيد، فقوله وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ [الأنبياء: 28] ولو لم يكن من مات على التوحيد أهلا للرضا، فمن يكون؟

وكذلك أقول في قوله تعالى: لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهدا [مريم: 87] أي: شهادة أن (لا إله إلا الله) فإذا لم يكن من مات على التوحيد له عهد، فقد ورد في صحيح البخاري عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ. قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ.» [2]، فعدم الاشراك بالله سبحانه، يثمر النجاة من النار، والعذاب؛ والشفاعة وسيلة من وسائل ذلك.

فهذه الآيات، تثبت الشفاعة مع شرط الإذن الملك الجليل سبحانه، وهذا لا نعارضه، بل نثبته؛ فيوم القيامة عظيم، جليل لا يتكلم أحد إلا بإذن الله، فكيف بالشفاعة؟

2- (آيات تخبر عن طلب الشفاعة من الله عز وجل)

وهي شفاعاتٍ حصلت من أعلم خلق الله بالله تعالى؛ لأنهم من الأنبياء والملائكة.

الآية الأولى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِن بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ 113 وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَة وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنهُ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيم [التوبة: 113-114]

يبين الامام الرازي ارتباط الآية الكريمة بسورة التوبة التي هي براءة من الله ورسوله من المشركين فيقول: اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وُجُوبَ إِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ عَنِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ تَجِبُ الْبَرَاءَةُ عَنْ أَمْوَاتِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْقُرْبِ مِنَ الْإِنْسَانِ كَالْأَبِ وَالْأُمِّ، كَمَا أَوْجَبَتْ الْبَرَاءَةَ عَنْ أَحْيَائِهِمْ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ بَيَانُ وُجُوبِ مُقَاطَعَتِهِمْ عَلَى أَقْصَى الْغَايَاتِ وَالْمَنْعِ مِنْ مُوَاصَلَتِهِمْ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ[3]

فالآية أصل في أن المشركين هم أصحاب الجحيم، وأنهم هم من لا تجوز الشفاعة لهم، فالدعاء، والاستغفار هو عين الشفاعة، إذ قصد الاستغفار لهم اخراجهم من الجحيم، وما الشفاعة إلا ذلك، فالصفة المانعة من الاستغفار هي الشرك بالله تعالى، فمفهوم

(1) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ) ، ج٢١، ص: ٢٥٤ ،٢٥٣. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(2) صحيح البخاري كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تبارك وتعالى 114/9 رقم ٧٣٧٣

(3) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 16 / 157

المخالفة يدل على أن: من مات على الاسلام جاز الاستغفار له، فالشفاعة لمن مات على الاسلام واقعة، ولما احتج البعض باستغفار إبراهيم عليه السلام، رد القرآن بأن ذلك كان وعدا لأبيه، ثم ترك الدعاء له لما علم بأنه مخلد بالنار.

وأهل القبلة كلهم تجوز الشفاعة فيهم، وصلاة الجنازة نوع من الشفاعة، ولذلك لا تجوز على الكافرين، والمنافقين، ولذا وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنازة ابن سلول فنحاه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل النهي عن ذلك ، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد منهم أبدا[1]؛

قال الحافظ ابن كثير: وقال عطاء بن أبي رباح: ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا؛ لأني لم أسمع الله حجب الصلاة إلا على المشركين، يقول الله، عز وجل: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَستَغفِرُواْ لِلمُشرِكِينَ [التوبة: 113]

وعن ابن وَكِيع، عن أبيه، عن عصمة بن زامل، عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: رحم الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه. قلت: ولأبيه؟ قال: لا. قال: إن أبي مات مشركا؛ وقوله: (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال ابن عباس: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وفي رواية: لما مات تبين له أنه عدو لله[2]

وقال الطبري:{أَنْ يَسْتَغْفِرُوا}. يقولُ: أن يَدْعوا بالمغفرةِ للمشركين، ولو كان المشركون الذين يَسْتَغْفرون لهم ذَوى قَرابةٍ لهم، {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}. يقولُ: مِن بعدِ ما ماتوا على شِرْكِهم باللَّهِ وعبادةِ الأوثانِ، فتَبَيَّنَ لهم أنهم مِن أهلِ النارِ؛ لأن اللَّهُ قد قَضَى أن لا يَغْفِرَ لمشركٍ، فلا يَنْبَغِى لهم أن يَسْأَلُوا ربَّهم أن يفعلَ ما قد عَلِموا أنه لا يفعلُه؛ فإن قالوا: فإن إبراهيمَ قد اسْتَغْفر لأبيه وهو مشركٌ؟ وَمَا كَانَ ٱستِغفَارُ إِبرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوعِدَة وَعَدَهَا إِيَّاهُ [التوبة: 114]، {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ} وعَلِمَ أنه للَّهِ عدوٌّ، خَلَّاه وتَرَكَه، وتَرَكَ الاستغفارَ له، وآثَرَ اللَّهَ وأمْرَه عليه، فتبرَّأَ منه حينَ تَبَيَّنَ له أَمرُه؛ واختَلف أهلُ التأويلِ في السببِ الذي نَزَلَت هذه الآيةُ فيه؛ فقال بعضُهم: نَزَلَت في شأنِ أبي طالبٍ عمِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أرادَ أن يستغفرَ له بعدَ موتِه، فنَهاه اللَّهُ عن ذلك[3]

فتبين بذلك أن أهل (لا إله إلا الله) أهل للدعاء، وصلاة الجنازة عليهم، والاستغفار لهم؛ وإن لم يكن ذلك شفاعة فكيف تكون إذا؟

فالإنكار على من يفعل ذلك للمشركين، والمنافقين إقرار على قبول الدعاء لمن مات موحدا.

الآية الثانية: ٱلَّذِينَ يَحمِلُونَ ٱلعَرشَ وَمَن حَولَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمدِ رَبِّهِم وَيُؤمِنُونَ بِهِۦ وَيَستَغفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيء رَّحمَة وَعِلما فَٱغفِر لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ [غافر: 7]

(1) ينظر: جامع المسائل لابن تيمية 5 / 74

(2) تفسير ابن كثير 4 /225

(3) تفسير الطبري 12/ 19 المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة المؤلف: خالد بن سليمان المزيني الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية 2/ ٧٦٨

قال الإمام الرازي: هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين، فنبين هذا فنقول: أما بيان دلالة هذه الآية على ما قلناه فمن وجوه:

- **الأول:** قوله (وَيَستَغفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ) والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة لا تذكر إلا في إسقاط العقاب؛ أما طلب النفع الزائد فإنه لا يسمى استغفارا.

- **الثاني:** قوله – تعالى –: (وَيَستَغفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ) وهذا يدل على أنهم يستغفرون لكل أهل الإيمان، فإذا دللنا على أن صاحب الكبيرة مؤمن، وجب دخوله تحت هذه الشفاعة.

- **الثالث:** قوله تعالى: (فَٱغفِر لِلَّذِينَ تَابُواْ) طلب المغفرة للذين تابوا، ولا يجوز أن يكون المراد إسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة، لأن ذلك واجب على الله عند الخصم، وما كان فعله واجبا كان طلبه بالدعاء قبيحا، ولا يجوز أيضا أن يكون المراد إسقاط عقوبة الصغائر؛ لأن ذلك أيضا واجب فلا يحسن طلبه بالدعاء، ولا يجوز أن يكون المراد طلب زيادة منفعة على الثواب، لأن ذلك لا يسمى مغفرة، فثبت أنه لا يمكن حمل قوله (فَٱغفِر لِلَّذِينَ تَابُواْ)، إلا على إسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة، وإذا ثبت هذا في حق الملائكة فكذلك في حق الأنبياء لانعقاد الإجماع على أنه لا فرق.

أما الذي يتمسك به نفاة الشفاعة وهو: أنهم طلبوا المغفرة للذين تابوا، فنقول: يجب أن يكون المراد منه الذين تابوا عن الكفر، واتبعوا سبيل الإيمان؛ وقوله: إن التائب عن الكفر المصر على الفسق لا يسمى تائبا، ولا متبعا سبيل الله، قلنا لا نسلم قوله، بل يقال: إنه تائب عن الكفر وتابع سبيل الله في الدين والشريعة، وإذا ثبت أنه تائب عن الكفر ثبت أنه تائب، ألا ترى أنه يكفي في صدق وصفه بكونه ضاربا وضاحكا صدور الضرب والضحك عنه مرة واحدة، ولا يتوقف ذلك على صدور كل أنواع الضرب والضحك عنه فكذا هاهنا[1].

فطلب المغفرة للذين آمنوا نص قاطع بطلب المغفرة للمذنبين، وهذا هو معنى الشفاعة.

3– آيات فسرت بالشفاعة .

آياتان فسَّرهما العلماء بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما أولاهما: فهي قوله تعالى في سورة الإسراء:(وَمِنَ ٱلَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِۦ نَافِلَة لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحمُودا) [الإسراء:79] وقد فسر علماء السنة المقام المحمود: بالشفاعة العظمى تارة، وبالشفاعة للمذنبين تارة آخرى، وذلك؛ لورود المعنيين كلاهما في الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعموم الآية الكريمة يتناول الأمرين بلا تعارض.

قال الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم .... ثم روى بسنده عن حذيفة ما

(1) التفسير الكبير، ج٢٧، ص: (34– 35)

يفيد ذلك، والقول الثاني هو الشفاعة لأمته، وهي شفاعة خاصة بعد العامة ثم يروي الامام الطبري عن الحسن ومجاهد وغيرهما ما يبين ذلك، وهو: أن المقام المحمود هو الشفاعة لأمته. [1]

قال الإمام الرازي: قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية "هو المقام الذى أشفع فيه لأمتي"(2)، وأقول: اللفظ مشعر به، وذلك لأن الإنسان إنما يصير محمودا، إذا حمده حامد، والحمد إنما يكون على الإنعام؛ فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاما أنعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه على قوم، فحمدوه على ذلك الإنعام، وذلك الإنعام لا يجوز أن يكون هو: تبليغ الدين، وتعليم الشرع؛ لأن ذلك كان حاصلا في الحال؛ وقوله: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا تطميع، وتطميع الإنسان في الشيء الذي وعده في الحال محال فوجب أن يكون ذلك الإنعام الذي لأجله يصير محمودا إنعاما سيصل منه حصل له بعد ذلك إلى الناس وما ذاك إلا شفاعته عند الله فدل هذا على أن لفظ الآية وهو قوله (عَسَىٰ أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحمُودا) يدل على هذا المعنى وأيضا التنكير في قوله: (مَقَاما مَّحمُودا) يدل على أنه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل، ومن المعلوم أن حمد الإنسان على سعيه في التخليص عن العقاب أعظم من حمده في السعي في زيادة من الثواب لا حاجة به إليها؛ لأن احتياج الإنسان إلى دفع الآلام العظيمة عن النفس، فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة به إلى تحصيلها، وإذا ثبت هذا: وجب أن يكون المراد من قوله: (عَسَىٰ أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحمُودا هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة، ولما ثبت أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى إشعارا قويا، ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى، وجب حمل اللفظ عليه؛ ومما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور {وابعثه المقام المحمود الذي وعدته}[3]، يغبطه به الأولون والآخرون، واتفق أهل العلم على أن المراد منه الشفاعة[4]

والسنة الصحيحة تؤكد ذلك: فقد روى الإمام مسلم بسنده المتصل إلى جابر بن عبد الله يحدث القوم جالسًا إلى سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال(5): فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذى تحدثون والله يقول: (رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدخِلِ ٱلنَّارَ فَقَد أَخزَيتَهُۥ)[آل عمران: 192] (كُلَّمَا أَرَادُواْ أَن يَخرُجُواْ مِنهَا أُعِيدُواْ فِيهَا) [السجدة: 20]، فما هذا الذى تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرءان قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذى يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج[6]

قال الإمام محى الدين النووي في شرحه على مسلم: قال القاضي عياض رحمه الله مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله – تعالى –: [الأنبياء: 28]، وأمثالهما؛ وبخبر الصادق صلى الله عليه وسلم، وقد جاءت الآثار التي بلغت

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (224 – 310هـ) 168/14.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) ٢،٤٤١،٥٢٨"، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق"٢،٢٦٠"، والقاضي عياض في الشفاعة، "١،٤٢٠.

(3) البخاري ك: الأذان، ب: الدعاء عند الأذان، وفي فتح الباري، ج٢، ص:١١٢.

(4) التفسير الكبير، ج ٢١، ص: ٣٢،٣٣.

(5) هو يزيد الفقير الراوى عن جابر.

(6) صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 – 261 هـ) ك الايمان بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا 123/1 رقم 191. ط الحلبي

بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف، والخلف ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة عليها ولم يخالف الا الخوارج والمعتزلة، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى فَمَا تَنفَعُهُم شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ [المدثر: 48]، وبقوله تعالى مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن حَمِيم وَلَا شَفِيع يُطَاعُ [غافر: 18]، وهذه الآيات في الكفار؛ وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل؛ وألفاظ الأحاديث في الكتاب، وغيره، صريحة في بطلان مذهبهم، وإخراج من استوجب النار؛ والشفاعة خمسة أنواع، أولها: مختصة بنبينا صلى الله عليه وسلم وهي: الإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب، الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن شاء الله تعالى الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: (لا إله إلا الله) الخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها؛ وهذه لا ينكرها المعتزلة، ولا ينكرون أيضا شفاعة الحشر الأول؛ قال القاضي عياض: وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم، ورغبتهم فيها، وعلى هذا: لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون –كما قدمنا– لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات، ثم كل عاقل معترف بالتقصير؛ محتاج إلى العفو، غير معتد بعمله، مشفق من أن يكون من الهالكين؛ ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة؛ لأنها لأصحاب الذنوب، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف)[1].

فقوله تعالى: (عَسَىٰ أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحمُودا) إخبار منه — تعالى – أنه سيعطيه مقامًا يُحمَد عليه صلى الله عليه وسلم، وأخبرت الأحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم يشفع في فصل القضاء، وسيشفع في إخراج من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من خير وظل –صلى الله عليه وسلم– يخرج من النار حتى لا يبقى في النار إلا من أوجب القرآن عليه الخلود، وهم: الكفار، وهذه كلها مقاماتٌ يُحمَد عليها –صلى الله عليه وسلم–.

ولنذكر طرفا من الأحاديث المصرحة بشفاعته صلى الله عليه وسلم، منها قوله – صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي دعوة مستجابة؛ فتعَجَّل كلُّ نبي دعوتَه، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله مَن مات مِن أمتي لا يشرك بالله شيئا[2]، ومنها: حديث الشفاعة الطويل، وفيه أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كلما سجد وحمد الله تعالى يحد له حدا يخرجه من النار ويدخله الجنة وفي آخره: ثم أرجِع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا مَن حبسه القرآن،[3] أي: وجب عليه الخلود.

وروى الإمام البخاري في صحيحه بسنده المتصل إلى عمران بن حصين –رضى الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين[4].

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) ج٣ص٣٥،٣٦. دار إحياء التراث العربي – بيروت

(2) مسلم في الصحيح، ك: الإيمان: ٣٣٨، وأحمد في المسند، ٢:٢٧٥.

(3) مسلم في الصحيح، ١٨٤، وفتح الباري، ج١١، ص: ٤٢٥.

(4) البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب: صفة الجنة والنار 8/ 325 رقم ٦٥٧٥

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: وحاصله أن الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم، ويحدثون بما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأخرج البيهقي في البعث من طريق شبيب بن أبي فضالة: ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة، فقال رجل: إنكم لتحدثوننا بأحاديث لا نجد لها في القرآن أصلا، فغضب وذكر له ما معناه أن الحديث يفسر القرآن.

وأخرج سعيد بن منصور بسند صحيح، عن أنس قال: من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها. وأخرج البيهقي في البعث من طريق يوسف بن مهران، عن ابن عباس: خطب عمر فقال: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار. ومن طريق أبي هلال، عن قتادة قال: قال أنس: يخرج قوم من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء يعني الخوارج.

قال ابن بطال: أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين، وتمسكوا بقوله – تعالى فَمَا تَنفَعُهُم شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ، وغير ذلك من الآيات، وأجاب أهل السنة بأنها في الكفار، وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة، ودل عليها قوله تعالى (عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا) والجمهور على أن المراد به الشفاعة، وقال الطبري: قال أكثر أهل التأويل المقام المحمود هو الذي يقومه النبي صلى الله عليه وسلم ليريحهم من كرب الموقف، ثم أخرج عدة أحاديث في بعضها التصريح بذلك، وفي بعضها مطلق الشفاعة، فمنها حديث سلمان قال: فيشفعه الله في أمته فهو المقام المحمود، ومن طريق رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس: المقام المحمود: الشفاعة، ومن طريق داود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن أبي هريرة في قوله – تعالى -: (عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا)، قال: سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هي الشفاعة، ومن حديث كعب بن مالك مرفوعا: أكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود؛ ومن طريق يزيد بن زريع، عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أول شافع، وكان أهل العلم يقولون: إنه المقام المحمود[1].

والآية الثانية: قوله تعالى : (وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ) [الضحى: 5]، ووجه الدلالة من هذه الآية: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– عرف برحمته الواسعة نحو أمته، قال تعالى: (بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم) [التوبة: 128]، روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ « أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَلَا قَوْلَ اللهِ عز وجل فِي إِبْرَاهِيمَ: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} الْآيَةَ. وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عز وجل يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه الصلاة والسلام، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ »[2]

فرضا النبي –صلى الله عليه وسلم– وعدم مساءته في أمته يتناول قبول شفاعته إذا شفع في المذنب منهم أقول: رضا النبي –صلى الله عليه وسلم– بأشياء كثيرة منها كثرة القصور وزواجه من حور العين ومنها: الشفاعة.

(1)فتح الباري بشرح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 – 852 هـ)، ج١١، ص: ٤٢٥ المكتبة السلفية – مصر

(2) صحيح الامام مسلم بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ حديث رقم 202 ج1 ص 122

أما الإمام الرازي: فجعل حمل هذه الآية على الشفاعة متعين، ودلل عليه بوجوه، فقال: واعلم أن الحمل على الشفاعة متعين، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه –تعالى– أمره في الدنيا بالاستغفار، فقال وَٱستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنِينَ وَٱلمُؤمِنَٰتِ [محمد: 19] فأمره بالاستغفار، والاستغفار: عبارة عن طلب المغفرة، ومن طلب شيئا؛ فلا شك أنه لا يريد الرد، ولا يرضى به، وإنما يرضى بالإجابة، وإذا ثبت أن الذي يرضاه الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهو الإجابة، لا الرد، ودلت هذه الآية: على أنه تعالى يعطيه كل ما يرتضيه علمنا أن هذه الآية دالة على الشفاعة في المذنبين.

والثاني: وهو أن مقدمة الآية مناسبة لذلك، كأنه تعالى يقول: لا أودعك، ولا أبغضك، بل لا أغضب على أحد من أصحابك وأتباعك وأشياعك؛ طلبًا لمرضاتك وتطييبًا لقلبك، فهذا التفسير أليق بمقدمة الآية.

والثالث: الأحاديث الكثيرة الواردة في الشفاعة: داله على أن رضا الرسول–صلى الله عليه وسلم– في العفو عن المذنبين، وهذه الآية دلت على أنه تعالى يفعل كل ما يرضاه الرسول–صلى الله عليه وسلم–؛ فتحصل من مجموع الآية، والخبر: حصول الشفاعة؛ وعن جعفر الصادق، أنه قال: رضا جدي: أن لا يدخل النار مُوَحِّد، وعن الباقر: أهل القرآن يقولون: أرجى آية قوله: قُل يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم لَا تَقنَطُواْ مِن رَّحمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ [الزمر: 53] **وإنَّا أهل البيت نقول: أرجى آية قوله – تعالى –**: وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَىٰ [الضحى: 5] ، والله: إنها الشفاعة؛ ليعطيها في أهل لا إله إلا الله حتي يقول رضيت(1).

أنواع الشفاعة، وهل هي مختصة بنبينا – صلى الله عليه وسلم –؟.

١– **النوع الأول**: التخفيف من هَوْل الموقف يوم القيامة على الخلق، والتعجيل بالفصل بينهم، وتسمى هذه الشفاعة: بالشفاعة العظمى، وفي رأي جمهور العلماء، وهي أيضًا: المقام المحمود الذي وعده الله تعالى نبيه –صلى الله عليه وسلم– الوارد في قوله – تعالى عَسَىٰٓ أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحمُودا [الإسراء: 79]، وهذه الشفاعة خاصة بنبينا –صلى الله عليه وسلم–، ودليلها: ما رواه البخاري عَنْ أَنَسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، شَفِّعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى، عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي

(1) التفسير الكبير، ج٣٢، ص:٢١٣.

وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً.» [1].

النوع الثاني: وهو: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهى خاصة بنبينا –صلى الله عليه وسلم– ويشهد لهذا القسم: قوله –صلى الله عليه وسلم– في جزء من حديث مسلم، وفيه: يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ثم يفتح الله، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطَه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا ربي أمتي، امتى، فيقول: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب[2].

وروى البخاري في صحيحه عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.[3].

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ) [4]

النوع الثالث:– وهو: الشفاعة لقوم استحقوا النار؛ فيشفع فيهم رسولنا –صلى الله عليه وسلم– ويشفع فيهم أيضًا غيره ممن أراد الله وأذن له من الملائكة والنبين –عليهم الصلاة السلام– دليلها في حق نبينا –صلى الله عليه وسلم– ما عند مسلم قوله –صلى الله عليه وسلم–: "ونبيكم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم"[5]، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يقف لأمته وهى تجتاز الصراط يدعو لها بالسلام، ويستجيب الله له، والفرق بين هذا القسم والذى قبله: أن الذين قبلهم لم يحاسبوا أصلا، وإنما يشفع فيهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقط فيدخلون الجنة بغير حساب؛ أما هؤلاء الذين في القسم الثالث؛ فقد حوسبوا وبعد الحساب تبيَّن أنهم مستحقون النار؛ بسبب ما ارتكبوه من المعاصى؛ فيشفع فيهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيدخلون الجنة بغير عذاب، ولكن بعد الحساب.

ومن هذا الباب ما رواه الترمذي عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا

(1) صحيح الامام البخاري ك التوحيد باب قَوْلُ اللهِ تَعَالَى {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ حديث رقم7410 ج 9 ص 121

(2) جزء من حديث الشفاعة: رواه مسلم فى كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.127/1 رقم ١٩٤

(3) صحيح البخاري كِتَابُ الطِّبِّ بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ 134/7 رقم٥٧٥٢

(4) صحيح مسلم كِتَابُ الْإِيمَانِ بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ 136/1 رقم 216

(5) المرجع السابق.

فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ» قَالَ: «فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ الماءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حَمِالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ»[1]

ودليله فى حق الملائكة: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ [الأنبياء: 28]، وقوله – تعالى لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهدا [مريم: 87]، وقد مر تفسير هاتين الآيتين وبيَّن أن المرضي عنهم، والمتخذين عند الله عهدًا هم الموحِّدون، وفي حق الأنبياء قوله تعالى على لسان عيسي – عليه السلام –: إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [المائدة: 118]

النوع الرابع: الشفاعة فيمن دخل النار من عصاة المؤمنين، فيخرجون من النار قبل أن يستوفوا ما عليهم من عقاب، وهؤلاء يشفع فيهم رسولنا –صلى الله عليه وسلم– ويشفع الملائكة وصالح المؤمنين، وهذه الشفاعة لها ادلة عديدة: منها قوله النبي –صلى الله عليه وسلم–: يخرج قوم بالشفاعة من النار بعدما مسهم منها سفع؛ فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين"[2]، ومن أدلتها أيضًا: ما ورد من حديث طويل– قوله صلى الله عليه وسلم: "فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، وفي رواية لمسلم: ولم يبق إلا أرحم الرحمين؛ فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملون خيرًا قط"[3].

النوع الخامس: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، ودليل هذا القسم: ما رواه مسلم، قال: "أنا أول شافع يشفع في الجنة. وأنا أكثر الأنبياء تبعًا"[4]، ووجه الدلالة، كما ذكر النووي، وابن حجر من هذا الحديث: أنه جعل الجنة ظرفً مكان للشفاعة.

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب من نار جهنم وهي شفاعة خاصة بعمه أبي طالب ودليله ما ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُه "[5]،

من خلال ذكرنا لأنواع الشفاعة تبيَّن أن من يقوم: بالشفاعة هم رسولنا –صلى الله عليه وسلم– والأنبياء، والملائكة، وصالح المؤمنين، وقبل ذلك وبعده: شفاعة أرحم الرحمين فهل يوجد شفعاء آخرون يشفعون لأصحابهم؟ نعم، وردت أحاديث بذلك تُبيِّن الشفعاء الذين يشفعون لغيرهم فمنهم: الشهيد؛ لقوله –صلى الله عليه وسلم–: "للشهيد عند الله ست خصال: يُغْفَرُ له في أول دَفْعَةٍ ويُرَى مقعدَه في الجنة، ويُجَارُ من عذاب القبر، يأمن من الفزع الأكبر، ويوضَع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشَفَّع في سبعين من أقاربه"[6]،

(1) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ جَابِرٍ، وصححه الألباني (سنن الترمذي) بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ لِلنَّارِ نَفَسَيْنِ، وَمَا ذُكِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ 713/4 رقم ٢٥٩٧

(2) البخاري، ك: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار.

(3) البخاري، ك: التوحيد، باب: قول الله" وجوه يومئذ ناضرة، رقم 7445 ومسلم، ك: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.163/1 رقم 182

(4) مسلم، ك: الإيمان، باب: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أنا أول الناس يشفع في الجنة. رقم 196.

(5) مسلم، باب: شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم–: (135/1) رقم: 210.

(6) الجامع الكبير (سنن الترمذي) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ) ، ك: فضائل الجهاد، باب: في ثواب الشهيد. دار الغرب الإسلامي – بيروت

وكلما كثر عدد المصلين والمشيِّعين للميت: كان ذلك شفاعة له قال –صلى الله عليه وسلم–: "ما من ميِّت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلُغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعُوا فيه"[1]، وقال –صلى الله عليه وسلم–: " ما من رجل مسلم يموت؛ فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئًا إلا شَفَّعَهم الله فيه.[2]، والقران الكريم يشفع لحافظه وقرائه والعاملين به، قال –صلى الله عليه وسلم–: " اقرءوا القران فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه"[3]" وكذلك الصيام مع القرآن، قال –صلى الله عليه وسلم–: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة: يقول الصيام: أي يا رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القران: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان"[4].

وتلخيصًا لما سبق: فإن الذين يشفعون في غيرهم هم: سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– والأنبياء والملائكة وصالح المؤمنين العاملون والشهداء في سبيل الله والقرآن الكريم والصيام، وحفظة القرآن العاملون به، ثم يتفضل الرحمن الرحيم؛ فيخرج بعد ذلك– بفضله وكرمه– من النار كل من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان[5].

جعلنا الله من أهل الشفاعة وحشرنا فى زمرة أهل السنة والجماعة ... آمين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد

فيمكن بعد هذا التطواف مع بحث الشفاعة أن نستخلص النتائج التالية:

1- الشفاعة ثابتة يوم القيامة بصحيح النصوص، وصريحها.

2- ما استدل به نفاة الشفاعة لا يصلح دليلا على دعواهم، وقد وجه أهل السنة ظواهر تلك النصوص بما لا يتعارض مع صريح المنقول، وصحيحه.

3- قد تصلح النية، ولكن القصد الصحيح لابد له من علم صحيح يصدقه، ويؤيده، فبعض من أنكر الشفاعة قد ينطلق من معنى مقبول، وهو قولهم : إن الشفاعة نوع من الحكم مع الله يوم القيامة – تعالى ربنا سبحانه أن يشرك في حكمه أحداً– أو يظن أن القول بوقوع الشفاعة يؤدي إلى تواكل المسلمين، وظنهم أنهم ما داموا من أمة التوحيد فكلمة التوحيد تكفيهم.

4- طلب العمل وترك التواكل معنى صحيح، ولكن ترتيبه على الشفاعة غير صحيح. فسلامة المقدمات لا تستلزم سلامة النتائج، فأوافقهم على ترك التواكل وضرورة العمل، ولكن لا تلازم بين القول بالشفاعة والتواكل، فإنا لا ندري ما الله فاعل بنا، فكما أخبرنا بوجود الشفاعة، أخبرنا كذلك بأنه (وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ 14 ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ 15 فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ) [البروج: 14-16] ولا راد لقضائه ولا معقب على حكمه، ولا تناقض بين الخبرين كي نبقى بين الخوف والرجاء.

5- الشفاعة هي إيصال فضل الله تعالى إلى عباده، ولكن سبحانه جعل سبيل ذلك على يدي بعض عباده، وقد كان النبي

(1) مسلم في: ك: الجنائز، باب: مَن صلى عليه مائة شُفِّعُوا فيه.654/2 رقم ٩٤٧

(2) مسلم في: ك: الجنائز، باب: مَن صلى عليه أربعون شُفِّعُوا فيه.655/2 رقم ٩٤٨

(3) مسلم، ك: صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة.

(4) مسند أحمد، ج٢، ص: ١٧٤.

(5) انظر: الشفاعة، للقاضي عياض، "١/٣١٧"، ومفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للسيوطي، وقطف الثمار من هدي سيد الأبرار، أ.د/مروان شاهين، ص:٦١.

صلى الله عليه وسلم يوضح ذلك لأصحابه عمليا وذلك فيما روى البخاري عن أَبِي بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيهِ حَاجَةٌ قَالَ: "اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ) [1]

6- الشفاعة لا تصلح لكل أحد فمن ليس أهلا للرحمة، كمن أشرك مع الله غيره، لا تناله الشفاعة، وعلي هؤلاء تحمل النصوص النافية للشفاعة.

7- الشفاعة أنواع، فمنها المقام المحمود، ومنها دخول بعض الخلق الجنة بغير حساب، ومنها مايكون في العصاة الذين ماتوا على التوحيد.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم، محمد شمس الدين، *شرح الرسالة الشمسية*، الطبعة الرابعة.

2- ابن العماد، *شذرات الذهب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3- ابن القيم الجوزية، *مختصر الصواعق المرسلة*، دار الكتب العلمية، بيروت.

4- ابن المنير الإسكندري، ناصر الدين أحمد، *الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال*، دار المعرفة، بيروت.

5- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *جامع المسائل*، تحقيق: العمران وآخرون، الطبعة الثانية، دار ابن حزم.

6- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، *تهذيب التهذيب*، دار الكتب العلمية.

7- ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، دار الريان؛ دار المعرفة، بيروت.

8- ابن حجر العسقلاني، *لسان الميزان*، الطبعة الثانية، بيروت.

9- ابن حزم، علي بن أحمد، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، دار الجيل، بيروت.

10- ابن عساكر، علي بن الحسن، *تبيين كذب المفتري*، دمشق.

11- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، الطبعة العشرون، دار التراث، القاهرة.

12- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، دار الغد العربي.

13- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، عالم الكتب، بيروت.

14- ابن ماجه، محمد بن يزيد، *سنن ابن ماجه*، دار إحياء الكتب العلمية.

15- ابن منظور، *لسان العرب*، دار المعارف.

16- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

17- أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، دار الفكر.

18- أبو داود، سليمان بن الأشعث، *سنن أبي داود*، دار الريان للتراث.

19- أبو ريان، محمد، *تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام*، دار المعرفة.

20- أبو زهرة، محمد، *ابن حنبل*، دار الفكر العربي.

21- أبو زهرة، محمد، *تاريخ المذاهب الإسلامية*، دار الفكر العربي، القاهرة.

(1) صحيح البخاري وجوب الزكاه بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَالشَّفَاعَةِ فِيهَا رقم الحديث١٤٤٢

22- أحمد بن حنبل، *المسند*، دار الحديث، القاهرة.
23- الإسفراييني، أبو المظفر، *التبصير في الدين*، مطبعة الأنوار.
24- إسماعيل، إبراهيم بن محمد، *معجم الألفاظ والأعلام القرآنية*، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م.
25- الألوسي، محمود، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار الفكر.
26- أنيس، إبراهيم وآخرون، *المعجم الوسيط*، دار المعارف.
27- البغدادي، عبد القاهر، *الفرق بين الفرق*، دار الكتب العلمية، بيروت.
28- البيهقي، أحمد بن الحسين، *الأسماء والصفات*، دار إحياء التراث.
29- البيهقي، أحمد بن الحسين، *الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة*، 1380هـ / 1961م.
30- الترمذي، محمد بن عيسى، *سنن الترمذي (الجامع الصحيح)*، دار إحياء التراث العربي.
31- التفتازاني، سعد الدين، *شرح العقائد النسفية*، مكتبة الكليات الأزهرية.
32- التفتازاني، سعد الدين، *شرح المقاصد*، عالم الكتب، بيروت.
33- الجرجاني، علي بن محمد، *التعريفات*، دار الكتاب المصري.
34- الجزري، علي بن محمد، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، دار الكتب العلمية.
35- الجليند، محمد السيد، *قضية الخير والشر*، دار الحلبي.
36- الجمل، سليمان بن عمر، *الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين*، دار إحياء الكتب العربية.
37- الجويني، عبد الملك بن عبد الله، *الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد*، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي.
38- الحاكم النيسابوري، *المستدرك*، دار المعرفة.
39- الحويني، حسن محرم السيد، *قضية الصفات الإلهية*، دار الهدى.
40- الخازن، علاء الدين علي بن محمد، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
41- خليفة، إبراهيم، *الدخيل في التفسير*.
42- خليفة، إبراهيم، *دراسات في مناهج المفسرين*، مكتبة الأزهر.
43- الخياط، عبد الرحمن، *الانتصار*، مكتبة الكليات الأزهرية.
44- الدارقطني، علي بن عمر، *سنن الدارقطني*، دار الفكر.
45- الذهبي، شمس الدين محمد، *سير أعلام النبلاء*، مؤسسة الرسالة، بيروت.
46- الذهبي، محمد حسين، *التفسير والمفسرون*، مكتبة وهبة.
47- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*، مكتبة الكليات الأزهرية.
48- الرازي، فخر الدين، *مفاتيح الغيب*، دار الغد العربي.
49- الرازي، محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، دار المعارف.
50- زاده، مصطفى، *حاشية زاده على تفسير البيضاوي*، دار صادر، بيروت.
51- الزبيدي، محمد الحسيني، *إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين*، دار الفكر، القاهرة.
52- الزرقاني، محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، دار الحلبي.
53- الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان.

54-الزمخشري، محمود بن عمر، *الكشاف*، دار المعرفة، بيروت.
55-زيدان، عبد الكريم، *أصول الدعوة*، مؤسسة الرسالة.
56-الشهاب الخفاجي، *حاشية الشهاب على البيضاوي*، دار صادر، بيروت.
57-الشوكاني، محمد بن علي، *فتح القدير*، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث.
58-صبحي، أحمد محمود، *الفلسفة الأخلاقية*، دار المعارف، مصر.
59-الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان في تأويل القرآن*، دار الغد العربي.
60-طرابيش، جورج، *معجم الفلاسفة*، دار مدارك للنشر.
61-الطوسي، فخر الدين، *محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين*، مكتبة الكليات الأزهرية.
62-عبد الجبار، القاضي، *المحيط بالتكليف*، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
63-عبد الجبار، القاضي، *المغني في أبواب التوحيد والعدل*، المؤسسة المصرية.
64-عبد الجبار، القاضي، *تنزيه القرآن عن المطاعن*، دار النهضة الحديثة.
65-عبد الجبار، القاضي، *رسائل العدل والتوحيد*، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق.
66-عبد الجبار، القاضي، *شرح الأصول الخمسة*، مكتبة وهبة.
67-عبد الجبار، القاضي، *متشابه القرآن*، دار التراث.
68-الغرابي، علي مصطفى، *تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام*، مطبعة السعادة.
69-الغزالي، محمد بن محمد، *الاقتصاد في الاعتقاد*، دار الكتب العلمية.
70-غطاس، محمود محمد، *القاضي عبد الجبار ومنهجه في تنزيه القرآن عن المطاعن*.
71-فايد، عبد الوهاب، *منهج ابن عطية في التفسير*، مجمع البحوث الإسلامية.
72-الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*، الطبعة الرابعة، دار ابن الجوزي، 1420هـ / 1999م.
73-قاسم، محمود، *دراسات في الفلسفة الإسلامية*، دار المعارف.
74-القرآن الكريم، جلَّ من أنزله، بدون دار نشر، بدون مكان نشر، بدون سنة نشر.
75-القرآن الكريم؛ جلَّ مَن أنزله.
76-القرطبي، محمد بن أحمد، *الجامع لأحكام القرآن*، دار الغد العربي؛ دار الريان للتراث.
77-مزروعة، محمود محمد، *تاريخ الفرق الإسلامية*، دار المنار.
78-مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم بشرح النووي*، بيروت.
79-المناوي، عبد الرؤوف، *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، دار المعرفة.
80-موسى، محمد يوسف، *القرآن والفلسفة*، دار المعارف.
81-النسائي، أحمد بن شعيب، *سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي*، دار الجيل، بيروت.
82-النسفي، عبد الله بن أحمد، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، دار عيسى الحلبي.
83- النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، دار الجيل، بيروت.